

المكتبة الثقافية

تجريبى مع نجيب محفوظ

د. عادل محمد عطا إلياس



المكتبة الثقافية

٤٥١



General Collection of the National Library of the Philippines
National Library of the Philippines
بجزي مع نجيب محفوظ

د. عاذا محمد علي الياس



مكتبة المكتبة الوطنية

١٩٨٩

تمر على المرء تجارب كثيرة مرة وحلوة يشيد ببعضها ويحاول أن يتناسى البعض الآخر اما لكونها تجارب مريرة أو لأنها فاشلة يريد أن تكون في طي النسيان .

وتجربتي مع نجيب محفوظ تجربة حلوة أشدت بها وسأشيد بها دوما لكونها من تلك التجارب التي يتعلم منها المرء الكثير والتي تفتح امام عينيه آفاق المعرفة ودروب العلم والبحث والتقصى .

ومن عنوان البحث يظهر للمقارئ بأنه يتسم بالذاتية الشخصية إلا انه في ذات الوقت يدور وبشكل موضوعي في اطار عبقرية كاتب فذ ومبدع عظيم ورائد من رواد الرواية العربية والعالمية على حد سواء .

مادفعنى الى خوض هذا المضمار الصعب هو اننى كنت دائما أتوق الى ابراز تجربتى مع هذا الكاتب العظيم الى النور وهى وان كانت تجربة شخصية الا أنها لا تخلو من العموميات لأنها كما نوهت تقوم حول عقل وفكر مفكر كبير مثل نجيب محفوظ وعندما أشير الى صعوبة الموضوع فمعى عذرى فهو ليس بالموضوع السهل لاسباب عدة أولها وأهمها هو أنه خلاصة تجربة مع العبقريّة والفكر والفلسفة وثانيها انه مع كاتب نال لقوه جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٨٨م وبالقالى فقد كتب عنه ما كتب حتى انه يمكننا ان نتصور أن ما كتب عنه فى هذه الفترة الوجيزة وبعد نيّله الجائزة العظيمة قد يفوق بكثير ما كتب فى السنوات الطويلة من عمره المديت وهذا الأمر فى نظرى ما هو الا صحوة الأمل فى الأدب العربى وصحوة جواد الثقافة من كبوته وعلامة مبشرة بالخير لمن سيأتى بعد الكاتب الكبير الذى أعطى وأعطى ومازال يعطى أدبنا العربى الكثير من درره النفيسة والذي أسبغ عليه طابع العالمية .

وقد يتصور البعض بأن نجيب محفوظ بنيّله جائزة نوبل الكبيرة قد جعل الأمر مستحيلا لمن سيأتى بعده أن ينال هذه الجائزة ونقول بأن محفوظ وكما صرح مرارا عندما بدأ فى الكتابة واستمر طوال عمره المديد فى العطاء لم يفكر فى الجوائز ولم يجعلها مبلغ طموحه وغاية وهدف أمله بقدر ما كان تفكيره وغايته وهدفه كلها منصبة على تبليغ رسالة نبيلة وعلى دراسة النفس البشرية والانسان

البسيط العامل وعلى مشكلات عصره. والصراعات الطاحنة
التي تقف حجر عثرة أمام تقدم الأمم وأمام الفرد البسيط
الذي يكون دعامة أساسية من دعائم الأمم . كان يبحث
عن الانسان وفي الانسان وفي حنايا نفسه . كان الهدف
ساميا ولم يكن من وراء هذا الهدف أى مطمع لشهرة أو
مركز أو جائزة هي فى حد ذاتها شعار ورمز فقط . لذا
فقد حصل على الجوائز الكثيرة ومنها جائزة نوبل أما من
يكتب ويكتب واضعا نصب عينيه أهدافا عينية ومادية فهو
لن يصل الى شىء فى مهبط رأسه ناهيك عن العالمية .

الفصل الأول

وحتى أدخل في طلب الموضوع وهو تجربتي مع نجيب محفوظ أود أن أبدأ القول بأن هذه التجربة العظيمة يعود تاريخها إلى عام ١٩٧٧ م ، وذلك عندما كنت أفكر جادا في موضوع لرسالة الدكتوراه في جامعات أمريكا وتصادف وجودي في مصر في طريقى إلى أمريكا وكان أن التقطت وبمحض الصدفة المحضة قصة « اللص والكلاب » ربما لما يوحى عنوانها للقارئ مما تحمله من مغامرات بوليسية أو ربما لأن صورة الغلاف المثيرة قد شدت انتباهي .

في ذلك الحين تساءلت بينى وبين نفسى بعد قراءة اسم المؤلف « نجيب محفوظ » من هو نجيب محفوظ هذا ؟ ، ولكن لا يهم من هو المؤلف طالما سأجد قصة بوليسية أمضى

معها وقتا قبل أن أخلد للنوم . . وبعد قراءة القصة لم أستطع أن أقاوم إعجابى بها ولكن ظل هناك شىء ما يجذبنى اليها وكأنما يقول لى « قف . . هنا موضوعك وهو يكمن بين هذه الصفحات وكل ما عليك هو أن تعيد قراءة القصة وستجده » وقرأت القصة مرات ومرات وفى كل مرة أقرأها أجد أتنى وقعت على حقائق جديدة وأتنى أمام عبقري وجاءت فكرة الرسالة وأعجبت بها خاصة وان من أكثر مدارس الأدب كان شيسغفى ومازال شديدا بالرمزية والدراسات النفسية المعقدة والتي تقسم بالغموض والحيرة وتجرب القارئ وبدون وعى منه الى استخدام العقل والمنطق والتفكير بروية وتؤدة فى كل جملة يقرأها محاولا ايجاد حل أو مغزى أو معنى لهذه الجملة أو تلك . أو بمعنى آخر انها تحدى لعقل القارئ ان قبله يجد المتعة الفكرية وان رفضه فهو على الأقل قد أمضى وقتا ممتعا مع الرواية المعنية . ولذا قبلت التحدى وقررت أن تكون قصة « اللص والكلاب » هى موضوع رسالتى لنيل درجة الدكتوراه . ولم أندم على هذا القرار الحكيم الذى فتح المجال أمامى واسعا ليس لسبر أغوار كاتب كبير ولكن أيضا لكى أتمتع ولو باطلالة وجيزة على الأدب العربى عامة وهو ما كنت أجهل عنه الكثير . . وكنت مع كل سطر أقرؤه يحضر الى مخيلتى جميع كتاب اللاوعى أو تيار الشعور العالميون ليس لأن محفوظ قد أخذ عنهم هذا الأسلوب المعقد بل لأن محفوظ نأى فى استخدام أسلوب اللاوعى الأوربى الأصل والذى استخدمه جيمس جويس لأول مرة فى شكله الأدبى المعروف وتبعه آخرون من أوروبيين وأمريكيين وغيرهم ، استخدمه واجاد استخدامه وتوظيفه تبعا لأغراضه الفنية وذلك بعد أن وضعه فى قالب عربى مميز .

بدأ محفوظ في « اللص والكلاب » وما تبعها من روايات، مرحلة الرمزية في استخدام هذا الأسلوب بشكل جدى وهو وان كان يستخدم أسلوبا غريبا وجديدا عليه الا أنه وبمقدرة فائقة وبشكل عبقرى طوع هذا الأسلوب حتى يتناسق مع طبيعة الانسان العربى المعاصر وحن الصعب - بل ويمكن أن نقول من المستحيل - ان نجد في سعيد مهران أى تشابه وشخصيات أخرى عالية مثل ديدالوس بطل جيمس جويس الذى كان هو الآخر مثل سعيد مهران يتحدث عن ذاته فمن النظرة الأولى نجد أن الأول انسان عربى معاصر من الطبقة المتوسطة اجتماعيا - ان لم يكن دون ذلك - ساقته اقداره وسوء تقديره للأمور وعواقبها الى حتفه المحتوم أما الآخر فهو أوربى ينتمى الى مجتمع غربى وتقاليد غربية وتفكير غربى تحكم تصرفاته وأحكامه وقراراته .

اذن هذه إحدى ابداعات الكاتب القدير المبدع وهو البعد عن التقليد والالتزام بتقاليد مجتمعه العربى والاسلامى والتركيز على الانسان العربى المعاصر وان كان في سبيل ذلك قد استخدم أسلوب غريبا .

وشكل آخر من أشكال الابداع لدى نجيب محفوظ في تأثره بأسلوب تيار اللاوعى هو أنه وان كان - ولو بطريق غير مباشر - قد تأثر بهذا الأسلوب عن جويس أو غيره الا أنه وبعد تطويعه واستخدامه فنيا أستطيع أن أقول وقد لا يوافقنى الكثير انه بذ جويس وولف وهمنجواى وغيرهم أولا استخدم نجيب محفوظ الأسلوب الجديد وهو أسلوب تيار الشعور لشخصية واحدة أو لنقل لعقل أو وجدان واحد طوال الوقت هو عقل سعيد مهران في قصة « اللص

والكلاب » وهذا ما لم نجده في جيمس جويس أو فرجينيا وولف أو وليم فولكنر . وهو في استخدامه لهذا الأسلوب وبهذا الشكل أثبت مقدرته الفائقة في مجازاة الكتاب العالميين فمنذ اللحظة الأولى تقريبا نعيش مع تيار الشعور لسعيد مهران الذي يتنسم نسمات الحرية لأول مرة بعد سنين أربع قضاها وراء القضبان وتبدأ الأحداث وتبدأ حيرة القارئ وتشنته للوهلة الأولى الى أن يتأقلم مع أسلوب تيار الشعور ليشعر بعدها بأن كل ما سرد عليه لم يكن سوى أحداث وأفكار ووجهة نظر صادرة عن تيار شعور مهران الذي غلبه حقه وكرهه للمجتمع ورغبته في الانتقام من هذا المجتمع على أن يرى كل شيء أو ينظر الى كل شيء بمنظار الواقع . ومن مميزات هذا الأسلوب أو لنقل من أهم مميزات هذه الطريقة وهي طريقة الصراع النفسي لشخصية واحدة وتيار الشعور لسعيد مهران فقط ان القارئ مخير في نهاية الأمر في أن يصدق أو لا يصدق حقيقة تلك الأحداث والوقائع ، فمن أدرانا أن سعيد مهران كان صادقا في كل ما قال . كيف نصدق ونحن لم نسمع أقوال عيش سدره أو نبوية أي رؤوف علوان أو غيرهم . هل ظلم سعيد مهران حقا أم أن حقه وكرهه للمجتمع صورا له ذلك فقط ؟ وتظل مثل هذه الأسئلة وغيرها تدور في رأس القارئ بعد أن ينهى قراءة القصة وفي الحقيقة فإن هذه الأسئلة المحيرة هي ركيزة التحدي التي أرسى دعائمها نجيب محفوظ وهي في الواقع ما شدني الى قصة (اللص والكلاب » وجعلني أقبل التحدي وأحاول أن أكون لنفسى فكرة أو نظرية تجيب على كل الأسئلة بالنقد والتحليل والدرس والتمحيص ولكن هيهات فعلى الرغم من كل

الدراسات والتحليلات يظل السؤال المعهود يطرح نفسه مرارا وتكرارا ما أدراك بصدق سعيد مهران ؟ انها وجهة نظره الشخصية فقط .

وثانيا : لم يقف محفوظ مكتوف اليدين بعد « اللص والكلاب » بعد أن وجد أن هذا الأسلوب هو الأسلوب الأمثل لعرض ما عنده من أفكار وفلسفة ودراسة للفرد فجرب قلمه واستخدم أسلوب تيار الشعور الرباعى والثلاثى وغيرها مثبتا بذلك بأنه لا يقل باعا من الكتاب العالميين الآخرين . . ففى رواية « ميرامار » مثلا يستخدم محفوظ أسلوب سسرد تيار الشعور لاربع شخصيات هى عامر وجدى وحسين علام باهى وسرحان البحرى وهذا يختلف الأمر تماما ففى « اللص والكلاب » كنا نعيش مع تيار الشعور لشخصية واحدة وخواطر شخصية واحدة ووجهة نظر واحدة ، اما هنا فاننا نعيش نفس الأحداث أربع مرات حيث يعطى الكاتب الفرصة لكل شخصية فى التعبير عن خواطرها ووجهة نظرها على حدة بعد أن أفرد لكل شخصية جزء خاصا بها وفى نهاية الرواية فالقارئ هو الحكم وهو قادر على أن يحكم - وبصدق - بأيهم أصدق من الآخر وقد ينحاز الى أحدهم وان كنت أعتقد بأن معظم القراء سيكونون فى صف زهرة والتي كانت هى محور أفكار الشخصيات الأربع والتي يذهب معظم النقاد بكونها زمرا لمصر الشامخة المعتزة بنفسها والمحافضة على كرامتها والصامدة بعزم على الرغم من كل الأزمات .

وعلى ذكر أسلوب تيار الوعى الرباعى وعلى ذكر رواية « ميرامار » يجذبنى تيار الشعور والذاكرة الى تذكر رواية الكاتب الأمريكى العظيم وليم فولكنز « الصوت

والغضب « (١) ، حيث تدور أحداثها هي الأخرى في نفس المحور وعن طريق تيار الشعور لأربع شخصيات رئيسية ثلاث منها من عائلة كومبسون والرابعة هي الخادمة العجوز أو المربية التي تنهى الرواية بما لها من تجربة وحنكة وعقلانية . والجدير بالذكر ان الكاتب يبدأ أحداث روايته عن طريق تيار الشعور لبنجي كومبسون المختل عقليا وكأنما يريد أن يظهر لنا مدى تردى هذا العالم فيما لا طائل تحته وليطبق المثل العربى القائل « خذوا الحكمة من أفواه المجانين » . ويشارك بنجي في عملية السرد كل من أخويه كونتن وجيسون . أما أختهم كانديس أو كاندى فلا دور لها في عملية السرد على الرغم من أنها أيضا تشكل المحور الرئيسى لأفكار وخسواطر الأخوة الثلاث والخادم العجوز دليزى .

ويستمر محفوظ في المسيرة ، مسيرة الرواية النفسية المعقدة فيطالعنا في رواية « الشحاذ » مثلا بالبطل الفرد مرة أخرى ولكن هذه المرة يتم السرد المعقد عن طريق المنولوج الداخلى لعمر حمزاوى الشاعر الفاشل الذى الذى يدخل في صراع مستمر مع ذاته ويتخبط في حيرة لا آخر لها ولا أوا .

وفي « أغراج القبة » نصطدم بطارق رمضان وكرم يونس وحليمة السكس وعباس كرم يونس . ولو عدنا للثلاثيات نجد أن خير مثال هو « في يوم قتل الزعيم » حيث نعيش مع تيار الشعور لكل من محتشمى زايد وعلوان قواز محتشمى ورنده سليمان مبارك . ويضيق المجال حقا هنا لذكر كل ما كتب من روايات في المرحلة النفسية التي تنقسم بنفس الطابع المعقد لأسلوب تيار الشعور ولكن لا

يضيير أن نذكر بعضا من هذه الأعمال بالاسم مثل « اللص والكلاب » و « السمان والخريف » و « الشحاذ » و « ثرثرة فوق النيل » و « ميرانمار » و « الحب تحت المطر » و « خمارة القط الأسود » و « الطريق » و « المرايا » و « قلب الليل » و « حضرة المحترم » .

ويمكن للمرء أن يقارن بين هذه الأعمال وبين الأعمال

العالمية مثل « صورة الفنان في شبابه » (٢) . لجيمس جويس و « يوليسيس » (٣) لنفس الكاتب و « الى الفنار » (٤) و « مدام دالويه » (٥) لفرجينيا وولف و « الصوت والغضب » لوليم فولكنر و « العجوز والبحر » (٦) . في معظم أجزائها - لارنست همنجواي وغيرهم كثير بطبيعة الحال .

من كل ذلك يتضح لنا جليا بأن نجيب محفوظ كان عملاقا بمعنى الكلمة عندما غامر لأول مرة وقام باستخدام أسلوب تيار الشعور في كتاباته ولم يقتصر في استخدام الأسلوب من جانب واحد بل تعداه فاستخدمه مع جميع جوانبه من حيث المنولوج الداخلي والمنساجاة وخواطر الشخصية وحديثها الباطني مع نفسها وتيار الشعور العام والمنولوج غير المباشر الى آخر ذلك من أشكال أسلوب تيار الشعور واللاوعي وكل ذلك بعد وضعه في قالب عربي محلي يتناسب مع الشخصية العربية كما نوهنا سابقا .

ولكن على الرغم من هذا الزخم الكبير في الانتاج وهذا أقصد في اطار الرواية النفسية والتحليلية ما زلت أعتقد - وهذا رأي خاص - بأن قصة « اللص والكلاب » هي المفصلة وهي التي تعبر تعبيرا قويا صادقا عن روح العصر

وتعطى صورة متكاملة عن ماهية أسلوب تيار الشعور وبالطبع هذا لا ينقى بأى حال ما لباقي المجموعة من مكانة وقوة من حيث الفكرة والحبكة واللغة . . فكل ما يكتب نجيب محفوظ. يعتبر تحفة فنية بحق وكل أعماله محببة وأفضل ما يقال هنا لإظهار مكانة هذه الأعمال جاء على لسان محفوظ نفسه مؤخرا عندما سئل أى أعمالك أحب الى نفسك فصرح بأن الثلاثية و « أولاد حارتنا » تأتي في المقدمة إلا أنه استطرد قائلا وعلى كل حال « فكلهم أولادى » كما يقولون . وله الحق فى أن يفخر بأولاده جميعا كما يفخر أولاده جميعا به .

الفصل الثاني :

وعودة الى التجربة بدأت في قراءة محفوظ بشكل موسع . قرأت له وقرأت عنه بل وأجريت معه أحاديث مختلفة في مناسبات عدة وذلك عامي ١٩٧٦ و ١٩٧٧م في مرحلة الاعداد للكتابة وكان ذلك في كازينو بترو بالاسكندرية وقابلت من قابلت من أعلام الفكر والأدب في مصر حتى اكتملت لدى المعلومات المطلوبة للرسالة . . وكان ان كتبت الرسالة التي تطرقت فيها وبشيء من الايجاز الى حياة الكاتب ومن سبقه من الرواد ومعاصريه وكذلك الى أعماله عموما . ثم قسمت الرسالة الى قسمين أولهما دراسة تحليلية نقدية كاملة لقصة « اللص والكلاب » وثانيهما ترجمة كاملة الى اللغة الانجليزية أيضا لقصة « اللص

والكلاب » ولا أستطيع مهما حاولت أن أعبر عن مدى
اعجاب الأمريكيان بقصة « اللص والكلاب » حتى أن طابعة
الآلة كانت تتصل بي في أي وقت تستحثني على إنهاء
الاجزاء التالية من القصة حتى تشبع فضولها وتعرف نهاية
سعيد مهران . . كل ذلك ملأني فخرا لأنني احسنت اختيار
الموضوع وقد صرح لي المشرف على الرسالة واللجنة
المتحنة بأنهم لم يسمعوا عن محفوظ هذا من قبل وأبدوا
دهشتهم لوجود كاتب عظيم مثل محفوظ في أدبنا العربي ،
وصرح رئيس اللجنة بأن محفوظا لو كان امريكيا اوضعت
الدولة أعماله في مقدمة الأعمال الأدبية ولصنعت له تمثالا
من رخام .

اذن فنجيب محفوظ كان عالما منذ فترة طويلة تربو
على عشرة أو عشرين عاما الا أن التقصير كل التقصير
يقع على عاتقنا نحن جميعا في عدم اعطاء ترجمة أعمالنا
الأدبية الى مختلف اللغات الأجنبية الأهمية التي تستحقها
من ناحية وفي تهويننا وعدم ثقتنا بأنفسنا وبقيمة أدبنا
ومكانته من ناحية أخرى .

ولو انتقلنا بالتجربة الى الشق الثاني وهو الترجمة
لحق لنا القول قطعا ان الترجمة قد أصبحت فنا من الفنون
وأبعد ما تكون عن العشوائية أو الحرفية أو الاجتهاد . .
والمخرج السينمائي والمترجم تواجههما دوما عدة مشكلات
من أهمها الأمانة العلمية والأدبية في نقل أفكار المؤلف
بصدق وواقعية سواء على الشاشة أو على رقعة الورق .
الا أن القصة أو الرواية في يد المخرج أحسن حالا فهو على
الأقل مخير في أن يضع الفكرة المحورية لرواية مؤلف ما في
قالب جديد ويقدم الرواية برؤية جديدة ومن وجهة نظر

المخرج نفسه كل ذلك بدون أن تفقد الفكرة اطارها العام
أما المترجم فهو ملتزم بل وملزم في جميع الأحوال بأن يحافظ
على الاطار العام للفكرة من جهة وعلى أن يتعامل مع
الرواية في حدود النص فقط وبدون بلورة أو ابداء وجهات
النظر أو مايشابه ذلك . الى جانب ذلك كله يجب أن يضع
المترجم كل ذلك في قالب وأسلوب أدبي يتناسب وينلاءم
والعمل القائم بترجمته .

وتماما كالمخرج الناجح يجب على المترجم أن يتعايش
في ويتوغل ويتغلغل مع الرواية أو القصة ويستوعبها تماما
محاولا ادراك الحقائق المطلوبة مثل ما الهدف من كتابة
هذه الرواية : لماذا جاءت في شكلها الحالي ؟ وهنا نعني
البيئة الروائية والأسلوب اللذين أتبعهما الكاتب في كتابة
روايته .

وكما أسلفنا فان المترجم الناجح ما هو الا فنان وقد
قيل ان المترجم مبدع بمعنى أنه قد أخرج عملا جديدا وان
لم يكن هو من كتبه لان اخراجه في ثوبه الحالي الجيد وبلغة
أخرى قد ينظر اليه وكأنه عمل ابداعي أو كأنما هو قد كتب
رواية جديدة باللغة المترجم اليها .

ولا اغالي البتة عندما أصرح بأنني قد ترددت كثيرا
في ترجمة « اللاص والكلاب » الى اللغة الانجليزية وذلك
بعد أن أنهيت الجزء الرئيسي من متطلبات رسالتي وهو
الجزء الخاص بالنقد والدراسة والتحليل لنفس القصة لعدة
أسباب وأول هذه الأسباب هو ما يتعلق باللغة وأخص
بالمذكر هنا اللغة العربية فالترجمة من اللغة الانجليزية الى
اللغة العربية أسهل بكثير من الترجمة الى اللغة الانجليزية

وذلك لصعوبة اللغة العربية من حيث تكوين الجملة واللفظ
واساليب البلاغة المنتقاة بدقة وحرص متناهيين من قبل
المؤلف بل أيضا ولصعوبة الكلمات نفسها أحيانا وهنا لا
أشير الى الكلمة أو الكلمات أو حتى الجمل بمعناها الحرفي
بل بما ترمز اليه أو بمعنى أدق بما يريد المؤلف أن ترمز
اليه تلك الكلمات والجمل والتراكيب والالفاظ اللغوية وغير
ذلك .

كل هذا كان من الممكن التغلب عليه بقليل من الصبر
ولكن العقبة الخؤود كانت تكمن في أن قصة «اللص والكلاب»
قصة تعتمد على أسلوب اللاوعي أو أسلوب تيار الشعور
وهنا كان يجب أن ألج مع نجيب محفوظ نفسه في وعي
الشخصية وثى وجدان سعيد مهران حتى أتمكن من الاحاطة
ببواطن الأمور ومن معرفة خواطر هذه الشخصية على
المستويات الشخصية ومدى تطور حدة الصراع ومدى تأثير
وعي سعيد مهران بما حوله ومن حوله الى آخر هذه
العناصر المؤثرة للمترجم . أضف الى ذلك أن الوصف
والسرد كلها تأتي بطريقة عشوائية وكما يفكر فيها العقل
وبدون ترتيب لجمل معينة أو لزمان أو لفكرة . بعد كل هذا
تبرز مشكلة أكثر تعقيدا من كل ما سبق ذكره وهي أم
المشاكل للمترجم أو على الأقل بالنسبة لى في ذلك الوقت
وهي اننى أترجم لنجيب محفوظ أو بمعنى أصح لكاتب
متمكن ودارس وفيلسوف وضع كل كلمة في روايته بحرص
وحذر وان كانت أفكار سعيد مهران أفكارا عشوائية طبقا
لما يفكر فيه في لحظة معينة ، الا أن انتقاء نجيب محفوظ
لكلماته وجمله وعباراته لم تكن عشوائية فكل كلمة بل
أستطيع أن أقول كل حرف بكل غاصلة أو علامة تعجب أو

علامة وصل ، كلها وضعت لتعنى شيئاً أو لتكون لبنة من لبنات التكوين الروائي للقصة وبنية أساسية لتطوير الحبكة والحدث تساعد على فهم وعى الشخصية وحالة سعيد مهران النفسية والصراع النفسى الرهيب الدائر رحاه في وجدان البطل . هذا كله الى جانب ان محفوظ أستتاز اللغة وقارسها هو أيضا من أساتذة لغة التصوير ، فنجد مثلا ان « اللصر والكلاب » لا تخلو من الصور الشعرية والأخيلة المستمدة من واقع البطل في ماضيه وحاضره ومستقبله الذي يعيش معه من خلال أحلامه وآماله الضائعة . . ويمكن التنايل بالأمثلة والأمثلة على ذلك كثيرة ويمكننا ان ننظر الى القصة تلك النظرة الشمولية فيما يخص اللغة فنقسمها الى أربعة أقسام عامة بحيث لو أمعنا النظر لوجدنا ان محفوظا يختص كل قسم منها بشكل وقالب معينين في اللغة وذلك من حيث انتقاء الكلمات والعبارات والألفاظ اللغوية وتختلف كل منها باختلاف الفكرة التي تدور في عقل ووجدان سعيد مهران والتي هي بدورها تحدد لنا مع أى الأقسام سوف نكون في تلك اللحظة المعينة وبالطبع لا يوجد هناك ترتيب معين يحدد متى وكيف وأين يبدأ كل قسم حيث يعتمد ذلك أيضا على تيار الشعور الخاص بسعيد مهران الذى يتنقل من قسم الى قسم بدون نظام مرسوم .

مثلا عندما يزرع سعيد مهران تحت وطاة فكرة أو أفكار معينة ترّله ذكراها تميل الجمل في بداية تفكيره الى القصير كما انها غالبا ما تكون جملا مكتملة من حيث الفواصل وعلامات الاستفهام والتعجب والنقاط في نهاية كل جملة ولكن كلما أخذ منه الفكر مأخذه وقاربنا على

نهاية الفكرة حيث تتسم أفكار سعيد بالألم والحسرة والاكْتئاب والغضب نجد أن الجمل تزيد طولاً كما ترقيمها في أغلب الوقت الفواصل الكاملة أو المنقوطة وقد تبدو بعض هذه الجمل غير مكتملة نظراً للحالة النفسية التي تكون قد أخذت مأخذها من البطل وقد يقطع النوم هذا السبيل العرمرم من الإنكار والتفكير أو قد يقطعه سماع سعيد لصوت يجذب انتباهه ويذكره ويوقظ فيه روح البقاء فيتوقف هذا التفكير دون أن يصل إلى نهاية معلومة . وأول مثال على ما نعني ما جاء في الفصل العاشر من القصة حيث نرى سعيداً في منزل نور في لحظة صراع دامي مع نفسه فيبدأ في مناجاة طويلة بليغة مع ذاته في الفقرة التي تبدأ بعبارة « ومضى إلى حجرة الجلوس فاستلقى على كنبه . وحيداً بكل معنى الكلمة . » وتنتهي المناجاة بالجملة الطويلة التالية « ولن ينسى في النهاية أنها امرأة كما أن نبوية امرأة خائنة جبانة سيقتلها الخوف على حياتها حتى يلتف حبل حول عنقك وتستقر في قلبك رصاصه مجرمة ويشوه البوليس سيرتك فينقطع ما بينك وبين سناء إلى الأبد حتى حبك لن تدري عن صدقه شيئاً كأنه رصاصه طائشة وكذلك . »

واختلس النوم سعيد مهران . . « ص ١٠٥ » هنا تختفى حتى الفواصل تقريباً لتدل على تيار تتصل من الفكر والألم لا توقفه فواصل وتنطوي المناجاة السابقة تحت لواء القسم الأول وهو ذلك القسم الخاص « بالخونة » . ولو نظرنا مرة أخرى إلى تكوين الجملة لدى نجيب محفوظ خاصة وهو يستخدم تيار الشعور لا يمكننا أن نعطي مثلاً آخر على ذلك من خلال تفكير سعيد الدائم في نفس الفئة - فئة الخونة - وفي جميع من يرغب في الانتقام منهم . .

ونلاحظ أنه عندما يفكر سعيد مهران في رؤوف علوان أو في نبوية أو في عليش نجد أنه يميل الى استخدام لغة صعبة وألفاظ معقدة وكلمات تقطر الما وحسرة كما تتعقد آراؤه وأفكاره وتميل هذه الجمل نحو البطيء والطول الى حد ما كي تعبر عن الأفكار والصور المتمثلة في الخيانة والموت لذا فعندما يدور فكر ووجدان سعيد مهران حول هؤلاء تختفي كلمات الرقة والحنان التي سنلاحظ انه يستخدمها كثيرا في تفكيره في سناء ونور لاحقا لتحل محلها كلمات أكثر تعقيدا من حيث التكوين والمعنى مثل « الخيانة » و « الخونة » و « الكلاب » و « الثعابين » و « المؤامرات » وما شابه ذلك .

كذلك نجد أن القسم الخاص بالأجزاء التي تتناول الشيخ على الجنيدى يميل هو الآخر الى نفس التعقيد في اللفظ والجملة ونجد أن أسلوب الكاتب هنا أيضا يتسم بطابع الجدية تبعا لجدية وصعوبة الموضوع الذى تتناوله هذه الأجزاء . لذا فهو يميل الى استخدام لغة صعبة وكلمات معقدة وصور وأفكار فلسفية من الصعب ادراك معناها ومغزاها للوهلة الأولى وهى بذلك أشبه بذلك القسم الخاص الذى تتناول اجزاؤه « الخونة » لأنه من الصعب على سعيد مهران ادراك واستيعاب عالم الشيخ على الجنيدى .

أما القسم الثالث فهو القسم الخاص بسناء التى أحبها حبا جما صادقا ملك عليه كل مشاعره وسيطر على فؤاده ولا تنسى أيضا « نور » التى كان فى البداية يرثى لحالتها ثم تطور الأمر وصرح لنفسه بجلاء انه يحبها حبا عظيماً . اذن نجد فى هذا القسم أن الحب يطغى على كل شىء وذلك

على الرغم من تفاقم الأحداث ووصولها الى الذروة ، فعندما يفكر سعيد دهران في سناء نجد ان أسلوب يتغير بشكل جذري فيصبح سلسا وتميل الجمل الى القصر والبساطة في المعنى والتكوين الى حد ما وهي تعكس حبه العميق لابنته ورغبته في العيش معها في سلام وأمان في اى مكان آمن يجود به الزمان . وهنا تبرز امامنا كلمات الحب والصدق مثل « حزان جارغ » أو « فالتهمتها روحه » أو « ألا تدرى كم يحبها » أو « المحبوبة » أو « المبتسمة » ، وبنفس الطريقة عندما يفكر سعيد مهراڤ في « نور » وخاصة في الفصول الأخيرة من الرواية حيث تختفى كلمات العنف والقتل والرغبة في الانتقام لتحل محلها ائرة والبساطة والحب وهكذا نجده يستخدم كلمات مثل « الرحمة » و « الشفقة والحب » و « رقة الشاعر » ، وماشابه ذلك كلها كلمات وجمل وعبارات سلسلة تميل الى البساطة والى السهولة في التركيب لتدل على أسمى المعانى الانسانية .

امام القسم الرابع فهو ذلك القسم الذى يميل فيه البطل الى التفكير فى نفسه وفى ذاته . هنا تميل الجمل أيضا الى التعقيد من حيث التكوين والمعنى والرمز فهو مثلا يرى نفسه وقد ملك منه اليأس الذروة انه « حى بلا حياة كجثة محنطة » وهو « كفار يتهدده السسم والقطط وهراوات المشمئزى » وهو « ميت » منذ انطلقت رصاصته العمياء وهو أيضا « وحيد بمعنى الكلمة » . كل ذلك على عكس ما يلمسه القارئ فى نظرة سعيد لنفسه فى أول الرواية ففى الفصل الأول وفى الفصل الأول على وجه الخصوص وقد خرج سعيد لينتقم وما كانت نسمات الحرية التى يستمتع بها الآن الا دافعا قويا له لتشديد قبضته على « الخونة » و « الكلاب » . لذلك فعندما بدأ فى اظهاس تلك الرغبة

الجامعة في الانتقام لنفسه بغض النظر عن الوسيلة أو النتائج نجد أن كلماته وجمله القصصية كانت تميل هي الأخرى الى اظهار نوع من التحدى والقوة والبأس وكان العدو « هو الجبان الخائف وتنطبق عليه الكلمات والجمال الوصفية التي وصف بها نفسه في نهاية القصة « ففي هذه الزورة البريئة سيكشف العدو عما أعده للقاء ، فادرس طريقك وواقعه ، وهذه الدكاكين التي تشرئب منها الرؤوس كالفيران المتوجسة . . » . كذلك كان سعيد مهران يصف الخونة « بالخنفساء » و « الثعبان » و « الكلاب » والزواحف عامة أما في وصفه لنفسه فقد كان كما أسلفنا معتزا بنفسه وفي بداية طريق الانتقام وقد وضع كل ذلك غشاوة سميكة على عينيه وصب في ذاته غرورا من الصعب تدارك مداه فنجدد يستخدم كلمات وجملا وصفية مثل « سيقف عما قريب أمام الجميع متحديا » و « آن للغضب أن ينفجر وأن يحرق » و « جاءكم من يغوص في الماء كالسمكة ويطير في الهواء كالصفر ويتسلق الجدران كالفار وينفذ من الأبواب كالرصاص » و « لن أقع في الفخ ولكني سأنقض في الوقت المناسب كالقدر » ولتكن ضربتك قوية « الى آخر ذلك وكلها جمل وصفية تدل على الكراهية والرغبة في الانتقام .

ولا تخلو القصة من لحظات هدوء نفسي ورومانسية تبرز من حين لآخر من بين هذه الاحراش المليئة بالقتل والكراهية والدماء . وفي لحظات الهدوء النفسي والنسبي لسعيد مهران نجده يميل نحو الرومانسية وتميل كلماته تبعا لذلك الى الصفاء والجمال نوعا ما وان أنهى الجملة بذكر الخيانة التي انطبعت كلماتها في وجدانه ونكراه على أى حال . ومن أمثلة ذلك تلك الصور الشعرية الجميلة التي يستخدمها محفوظ في وصف قصر رؤوف علوان كما يراه

سعيد مهران عن بعد وهو في سبيله لاعداد خطة لغزوه حيث « بدا القصر مسدل الجفون تحرسه الأشجار من كل جانب كالأشباح وقد نامت الخيانة في هدوء مع لا تستحقه البتة » ص ٤٩ ، أو تلك الصورة الشريفة الرومانتيكية الجميلة لوصف النيل أمام بيت رؤو. عنوان حيث « جرى النيل كأمواج من الظلام تنغرس في جنباتها أسهم الضياء المنعكسة من مصابيح الشاطئ » . وساد صمت شامل مريح ، ثم دنت النجوم من الأرض عندما اقترب الفجر ، ص ٤٩ .

والأمثلة كثيرة وكثيرة جدا فقلما تخلو صفحة من صفحات قصة « اللص والكلاب » من صورة أو رمز أو لفظ جميل وهي كلها تمثل حقا قوة مترابطة ووحدة كاملة تغود في تطورها الى المعنى الشامل المتكامل لفكرة الكاتب المحورية التي أراد أن يعبر عنها ويظهرها من خلال تيار الشعور ليطل قصته سعيد مهران .

ويمكن تلخيص كل ذلك فيما يلي : ان المرء هنا وهو بصدد قصة « اللص والكلاب » انما يتعامل مع الكلمة والحرف والرمز والصورة الشعرية والتركيب اللغوي المعقد والأسلوب الأكثر تعقيدا ذاهيك عن الكاتب نفسه والذي وان لم يظهر متطفلا في العمل على أبطاله الا انك لا تملك الا أن تشعر به في ذاتك واحساسك من خلال لغته الشعرية ومن خلال تمكنه من موضوعه بحيث أتت القصة في شكل متكامل فنيا وتقنيا .

ومن هذا المنطلق وعلى ضوء ما سبق كان على أن أعيد قراءة القصة مرات ومرات حتى أتمكن من استيعاب تلك

الألفاظ والجمل والتركيبات قبل البدء في الترجمة الفعلية .
بعد ذلك كله بدأت في الترجمة والتي أخذت منى الجهد كل
الجهد بحيث انتهت المسودة الأولى بعد ثمانية أشهر تقريبا .
أما الترجمة في صورتها النهائية لقصة « اللص والكلاب »
فقد أخذت منى عاما كاملا تقريبا .

ومن خلال هذه التجربة تأكد لى تماما أن الترجمة فن
وابداع . وفي الحقيقة أنا لا أتفق كلية مع من يرمى بأن
الترجمة هي فقط المقدرة والتمكن من اللغتين المترجم منها
والمترجم اليها . صحيح أن التمكن من اللغة عنصر هام
من عناصر الترجمة ولكنه على أية حال لا تشكل بحال
من الأحوال حجر الرchy أو الركيزة الأساسية في هذا الفن
وخاصة في حقل الآداب والعلوم الانسانية عامة حيث يطلب
من المترجم الجيد الى جانب اجادة اللغة وتمكنه منها أن
يكون ملما بطبيعة العمل الأدبي القائم بترجمته وأن يدرس
خلفيات هذا العمل وخلفيات العصر والمؤلف وربما أيضا
معاصريه ومن سبقوه أو بمعنى آخر أن يكون لنفسه خلفية
عن العمل المزمع ترجمته حتى يتمكن من فهم أفكار وروح
الكاتب ومايرمى اليه وما شابه ذلك وبذلك يستطيع أن
يخرج لنا عملا مترجما راقيا وهنا فقط نستطيع أن نطلق
عليه لقب المترجم المبدع . أما من يقرأ العمل أو قد لا يقرأ
شيئا بل يبدأ في الترجمة وهو يجهل كل الجهل تلك العوامل
والعناصر التي سبق ذكرها يمكن أن نطلق على ما ترجم
وبدون تردد ترجمة ميكانيكية وقد تكون رديئة ليس من
حيث الأسلوب واللغة فحسب بل من حيث الامانة والالتزام
بالنص وبفكر المؤلف أيضا . وأي مترجم من هذه الفئة
التي لا تستطيع أن تتفاعل مع النص ومع المؤلف لا يحق
أن نطلق عليه لقب مترجم .

الفصل الثالث :

واكتفى الى هنا بالسرد عن التجربة الشخصية وعن رسالتي وانتقل الى موضوع البحث أو بالأحرى الى نجيب محفوظ الكاتب المفكر والفيلسوف لبدء وجهات النظر وتقديم انطباع شخصي عن جانب من جوانب اهتمامات هذا الكاتب الكبير وذلك من خلال كتاباته الا وهو الفرد في المجتمع المتطور دوما وما يحمله هذا التطور من معاناة ومأساة وعذاب للفرد في محاولاته الجادة والتي غالبا ما تضيق في ايجاد سبيل حياة لنفسه ، وحتى يتسنى لي ذلك كان من الضروري لاكتمال الفكرة أن أبدأها بأجراء مقارنة بسيطة بين نجيب محفوظ وبين كتاب عالمين آخرين مثل

جيمس جويس وفرجينيا وولف وتشارلز دكنز وهمنجواى
ووليم فولكنر ومعظمهم قد نالوا جائزة نوبل أيضا .

وقد لا يكون فيما أقوله أى جديد خاصة عن نجيب
محفوظ الذى كتب عنه النقاد والباحثون أطناسا من
الصفحات ومازال الميدان متسع للكثير والكثير مما سيكتب
عنه لماذا ؟ لأننا دوما نكتشف فى أدبه أشياء لم نكن نعرفها
من قبل وأيضا لأنه الكاتب المثابر المعطاء فلا يمر عام الا
وطلع علينا بعمل ابداعى جديد وان كنا نجد فيه روح نجيب
محفوظ وعقله وفلسفته الا أن كل عمل جديد يقدم للقارىء
فيه زوايا جديدة ورؤى جديدة عن الطبيعة البشرية والذفس
الانسانية لرجل العصر ومشاكل العصر السياسية
والاجتماعية وغير ذلك وقلمنا نجد نجيب محفوظ
يكرر نفسه وهذه ميزة من أهم المميزات فى أى كاتب ملهم
لا ينضب معينه ولا تفرغ جعبته بسهولة وهو هنا أشبه ما
يكون بالشجرة الجميلة الباسقة التى تنفض ما عليها من
أزهار وخضرة فى فصل الخريف لتنتج أزهارا أكثر جمالا
وأبهى منظرا فى فصل الربيع .

وقد حتم على تخصصى فى الأدب الانجليزى ودراستى
فى أمريكا أن أقرأ لكتاب عالمين وهم كثر . وبالطبع فلكل
أسلوبه فى الكتابة الا أن ما جمع بين هؤلاء فى النهاية هو
مقدرتهم على دراسة النفس الانسانية والطبيعة البشرية
ومقدرتهم على ابتداع أنماط حياة تعيش معنا بل ونصادفها
ونحتك بها يوميا فى حياتنا المعاصرة .

وسنحاول هنا أن نعطي بعض الأمثلة عن بعض الكتاب
العالمين وما ابتدعوه من أنماط خالدة توطئة لعقد المقارنة

بين نجيب محفوظ وبينهم وما ابتدع هو الآخر من شخصيات وأنماط وإثبات أن نجيب محفوظ لا يقل عن هؤلاء الكتاب مقدرة في إثراء الأدب والمجتمع بأنماط خالدة عالمية .

ولو بدأنا بجيمس جويس مثلا نجد نمطا حيا هو بطل سلسلة رواياته وقصصه القصيرة ستيفن ديديالوس ذلك الشاب الفنان الذي يبحث عن ذاته وهي دراسة للفنان وما يعانيه في سبيل إبداع العمل الفني ونجد في فولكنر مثلا عدة أنماط من أهمها « الصوت والغضب » والتي تقوم على تيار الشعور لشخصيات أربع ونجد أن فولكنر قد ابتكر لنا نمطا جديدا لشخصية فاقد العقل أو المجنون أو المتخلف عقليا وهو بنجامين كومبسون والذي نجوب مع تيار شعوره في أفق واسع فيحكى لنا نفس ما سيحكيه أخويه والمربية تقريبا إلا أن هذا يكون من وجهة نظره هو ، وجهة نظر المتخلف عقليا ونحس إحساسا عميقا بفلسفة المجنون وكأنما هو يطبق المثل القائل خذوا الحكمة من أفواه المجانين . أما في روايته الأخرى والتي لا تقل أهمية وهي « وانا على فراش الموت » (٧) تظهر عبقرية فولكنر في أنه كان قادرا على ابتداع أكثر من نمط وكل هذه الانماط تعبر بصدق عن تلك الفترة وعن حياة الطبقة المتوسطة في الريف الأمريكي ومعاناتهم والقصة في حد ذاتها تدور حول الآثار المترتبة حول موت ودفن ادى بندرن من قبل أفراد العائلة المكونين من آنز وكاش ودارل وجويل وفاردمن والابنة دوى دل والذين يتعهدون لآدى وهي على فراش الموت أن يقوموا بدفنها في جيفرسون مهبط رأسها والتي تبعد عشرات الأميال عن مكان إقامتهم . وأيضا عن طريق تيار الشعور لجميع

هذه الشخصيات يبتكر لنا فولكنر انماطا عدة منها نمط أدى نفسها ورغبة الموت وآثر الزوج الذي لا يملك اقدره حيلة والابناء كل منهم في وادي يتغنى بليلاه واثناء هذا التغنى - ان جاز لنا ان نستعير هذا التشبيه - يدور الصراع بين كل نمط ونفسه ليعبر عن مأساة حياة بانسة ، أى مرة أخرى نصادف نمط المتخلف عقليا ونمط الزوج المثالى الى حين والابناء كل منهم تسيطر عليه أفكاره الخاصة به ..

ولى تعرضنا لكاتب عالمي آخر وهو جون شتاين بك سنجد أنه هو الآخر كان قادرا على ابتداع انماط مؤثرة خاصة في روايته العظيمة « ثمار الغضب » (٨) والتي تعبر - وبصدق - عن فترة المعاناة اثناء سنين القحط في امريكا وتنعكس هذه المعاناة على الشخصيات والافلاحين ومعاناتهم وهجرتهم الى كاليفورنيا مهد الذهب واحتياال رجال المال وبنوك الرهن ورجال الاعمال عليهم حتى يسلبوهم ما تبقى لديهم ليعيشوا على الكفاف . ومن أهم هذه الأنماط يبرز لنا نمطان هما الأم جود والابنة المدعوة روز أف شارون أو وردة شارون . وعلى الرغم من كل المصاعب والمشاكل التي تقابلهم وهم في طريق رحلتهم الطويلة من ولاية أوكلاهوما الى كاليفورنيا بالعربات التي تجرهما الخيل والبغال استطاعت الأم جود أن تجمع أفراد العائلة حولها وان تقودهم وتسوسهم لئلا يصابون باليأس أو يتسربوا فرادا وجماعة اثناء الطريق الشاق المخبر وكانت أشبه برجل قوى المراس وهي نمط للأم وربة البيت القوية القادرة التي تتحلى بصفات كثيرة اضعفها قوة الشخصية وحسن القيادة والحب والعطف لأفراد العائلة .

أما روز أف شارون فهي تبرز كنمط من خلال معاناتها
الشديدة اثناء الرحلة القاسية الى أن تفقد العائلة كل زاد
يقيها ويلات الموت جوعا وتعانى هي الضعف ضيعين
لكونها في أيام حملها الأخيرة . وتضع روز طفلا ميتا .
وفي اثناء معمة الأمطار والأوحال تفقد العائلة أيضا
عرياتها وتضطر الى السير على الاقدام الى أن يعثروا على
حظيرة للماشية فتقرر الأم جود أن يقضوا ليلتهم فيها .
في الحظيرة يجدون غلاما صغيرا يحاول أن يلهى والد
المسن عن الجوع . عندما تجد روز أن العجوز على شفا
حفرة من الموت جوعا تضحى بكل شيء وتلثمه ثديها
لا يتوى من حليب الأم كل هذا رغم فاقة العائلة وتضورهم
جوعا فلم يكونوا أحسن حالا من العجوز على أية
حال .

وهناك آخرون غير فولكنر وشتاينبك وان كانوا لا يقلون
عنهما شهرة ومقدرة ان لم يتعدوها مثل ارنست همنجواي
مثلا والذي يطول الكلام عنه لكثرة ما أوجد من أنماط مثل
فريدريك هنري الذي يهرب من الحرب وويلاته وكأنه بذلك
يوقع معاهدة سلام بمفرده في رواية « وداعا للسلاح » (٩)
ومثل روبرت جوردن الذي يحارب في صفوف الأسباب دفاعا
عن حرية الفرد في رواية « لمن تقرر الاجراس » (١٠) وجين
بونس الصحفي الذي فقد قدرته كرجل خلال الحرب العالمية
في ب من ويلات الحرب الا أنه يواجه ويلات المشكلات
السيية وما خافته الحرب فيه وفي أمثاله من مشاكل جسيمة
و ية الى آخر ذلك وذلك في رواية « وتشرق الشمس » (١١)
لـ كثيرة ولكن النمط المفضل عند الكثيرين ومنهم على
اعتقد كاتبنا الكبير نجيب محفوظ هو نمط العجوز

سانتياجو في رواية « العجوز والبحر » حيث أنه صورة مشرفة للرجل المسن فهو بالرغم من ابتعاد الجميع عنه بحجة أنه لم يعد قادرا على العمل لم يترك اليأس طريقا الى نفسه وأثبت للجميع مدى عزمته وصبره اذن فهو النمط المثالي للرجل المسن الصابر القوى الايمان بنفسه وبقدرته وبخبرته الطويلة في الصيد وبحكمته التي اكسبته اياها السنين ، نفس السنين الطويلة التي جعلت الجميع يبتعدون عنه ولا يشركونه في رحلات الصيد معهم .

ومن الروائيين العالمين أيضا نجد هرمان ملفيل الذي عرفنا على نمط مثل بلي بد البحار في رواية «بلي بد» (١٢) وأظهر لنا كيف كان أي بحار في ذلك الوقت (نهاية القرن التاسع عشر) يعاني من ظلم وتعسف البحرية الأمريكية . وفي الحقيقة لا يتكلم المرء عن ملفيل الا ويتذكر أعظم نمطين خالدين له وهما شخصيتا موبى دك الحوت الأبيض العملاق وكابتن ايهاب كابتن السفينة بكوك في رواية « موبى دك الحوت الأبيض » (١٣) وكابتن ايهاب هو من تلك الانماط الذي يسيطر عليها الشر ، شر الانتقام فيقوده حقد والرغبة في الانتقام الى حتفه على يد الحوت الأبيض. موبى دك والذي يرمز كما يعتقد كثير من النقاد الى أشياء كثيرة من أهمها أنه رمز للعدالة السماوية وقوة الخسالي والطبيعة .

أما فرجينيا وولف فلها مثالا كلاريسا دواليه وسيتيموس سمث المختل في رواية « مسز دالويه » ومسز رامزي وليلى برسكو في رواية « الى الفناء » وهي من روايات تيار الشعور . وهي انماط تمثل المعاناة والصبر والاصرار على بلوغ الهدف .

ولا يحق للمرء أن ينسى كاتباً عالمياً فرنسياً في هذا المجال وأعني به مجال ابتكار الانماط الانسانية ، هو جوستاف فلوربيرت ويكفيه أنه ابتدع ايما بوفارى في روايته الانسانية العظيمة « مدام بوفارى » (١٤) وهى نمط معاناة سيدة فقيرة تنتقل الى وسط أعلى من وسطها بالزواج من الدكتور بوفارى ولكنها تتعطش للحب والرومانسية ومغامرات أحلام اليقظة التى تمارسها فى لحظات الملل الكثيرة انشغال زوجها عنها بأعماله الطبية وكل ذلك يقودها فى النهاية الى حتفها منتحرة لتتخلص من الملل ومن الاثم معا . انها تعكس لنا وبصورة واضحة ما يفعله الفراغ والملل وخاصة فى حالة عدم تكافؤ الطرفين فى زيجة تمت فى شكل سريع أعجب الطبيب بجمالها وكانت هى تتوق الى حياة أفضل ، حياة بنت صرحها شامخ فى أحلامها التى لم ولن تتحقق . .

ولن أطيل كثيراً ولكن قبل أن أنتقل الى نجيب محفوظ موضوعى الرئيسى أحب أن أذكر وفى عجالة ثلاثة كتاب عالميين آخرين وكل ذلك فقط حتى نظهر فى النهاية بأن محفوظاً لا يقل عنهم عالمية وأنه تخطى الكثير منهم فى هذا المضمار . أول هؤلاء أود أن أشير الى كاتب عملاق يأخذ محفوظ منه فى أعماله شياً كبيراً وهو تشارلز ديكنز ومرة أخرى أنه بصعوبة تناول أعماله كلها لضيق المجال الا اننا نود أن نذكر على سبيل المثال عدة انماط خالدة ابتدعها هذا الكاتب العظيم الذى كان بحق مرآة عصره وكان خير من يعكس هموم ومشاكل الطبقات الدنيا فى مجتمعه . . ومن أهم الانماط فى الأدب مثلاً شخصية مستر بكويك فى رواية « أوراق المستر بكويك » (١٥) وهو ذلك العجوز المرح

الذى يقابل كل هموم الدنيا بابتسامة ومرح ونكتة ، كذلك نجد شخصيات وأنماط خالدة مثل أوليفر تويست وديفيد كوبرفيك ويب فيليب في الروايات على التوالي « أوليفر كوست » (١٦) و « ديفيد كوبرفيك » (١٧) و « الآمال العريضة » (١٨) وكلها تظهر معاناة الأطفال والشباب والظلم الاجتماعي والفقر واليتم والمناجم وتشغيل الأطفال فيها وما شابه ذلك .

أما الروائي الآخر فهو ستيفن كرين ويكفيه انه ابتدع لنا شخصيتين لا تنسى أولهما شخصية هنري فلمنج في رواية « عصاية الشجاعة الحمراء » (١٩) والتي تدور أحداثها عن الحرب الأهلية الأمريكية وهنا يذكرني فلمنج بهاملت ومقولته الشهيرة « أكون أو لا أكون » (٢٠) أو بالأحرى « أفعل أو لا أفعل » كما أراها ويدور الصراع هنا بين البطل ونفسه هل يظل في الميدان يحارب وقد يصبح بطلا ميتا أم يهرب وينجو بنفسه وان أصبح جباناً . والنمط الآخر لستيفن كرين هو ماجي في رواية « ماجي ابنة الشوارع » (٢١) وهي تمثل نمطا حيا لدى تأثير الوراثة والبيئة والفقر على الفرد وكيف يقوده كل ذلك الى الانصراف والى النهاية الحتمية وهي الانتحار في حالة ماجي مثلاً .

وأخيرا فان أفضل مثال نختم به هذا الجزء الخاص بالكتاب العالميين وما ابتدعوه من أنماط لا يكون الا من « مرتفعات درنج » (٢٢) لامبلى بروننتيه حيث يبرز لنا نمطا يبدأ طيبا الا أنه ينقلب الى شرير وشيطان وهو بطل الرواية هيثكلف الذى تعميه رغبته في الانتقام عن ما سواها فيدمر

الجميع ويدمر نفسه في النهاية تماما كما فعل ماكيت (٢٣) حتى يحقق مطامعه وكلاهما طبقا للأمثال والمقولات المشهورة « ليكن من بعدى الطوفان » (٢٤) أو « على وعلى أعدائي » (٢٥) أو « اذا مت ظمأنا فلا نزل القطر » (٢٦) كما يقول الشاعر أبو فراس الحمداني . وهيثكف وماكيت وكل من هم على شاكلتهم يجب أن تكون نهايتهم مريعة كحياتهم تماما مثل نهاية سعيد مهران الذي أعماه الحقد والغضب والرغبة في الانتقام عن تقدير الواقع والأمور ووزن كل شيء بميزان العقل والمنطق فكانت نهايته أسوأ نهاية .

وبالطبع هناك غيرهم الكثيرون ولن نتعرض لهم جميعا . . . وما يجمع كل هؤلاء الى جانب عالميتهم ابداعهم في تصوير الشخصيات والاجواء المعاصرة والتي تنطبق على كل زمان ومكان بل وعلى كثير منا في وقتنا الحاضر . . . والميزة الأساسية هي مقدرتهم في ابتداء أنماط خالدة وكل نمط منها انما يمثل شريحة معينة من المجتمع بخيره وشره ، بفرحه وغضبه .

الفصل الرابع :

ولو انتقلنا الآن الى نجيب محفوظ يمكننا أن نقولها وبصراحة مطلقة بأنه ان لم يبد معظم هؤلاء الكتاب العالميين وغيرهم فهو على الأقل يتساوى في عالميتهم وقد صرح كاتبنا الكبير مراراً بأن العالمية تبدأ من المحلية وهذا وأيم الحق لهو عين الصواب فحتى نصل الى العالمية يجب أن ننكب على مشاكلنا المحلية فحسباً وتمحيصاً ودراسةً نظهر السيئ منها لتلافيه وإصلاحه والحسن فيها لتدعيمه وتنميته أو بمعنى آخر يجب أن نبدأ بالمثل القائل « أعرف نفسك » .

وهذا ما فعله محفوظ فقد كان غاية همه ومبتغاه منصبين على دراسة الفرد في المجتمع المحلي وخاصة

مجتمع الطبقة الكادحة • درس ومارس ولاحظ وعاصر مشاكل هذا المجتمع قبل أن يكتب عنها وعندما كتب ابتكر لنا أنماطا لشخصيات عالمية لا تنسى ارتقى بها وبغيرها الى مصاف الكتاب العالميين العظام •

وسنحاول فيما يلي اعطاء صورة سريعة لتلك الانماط والشخصيات الخالدة التي ابتدعها نجيب محفوظ وهي وان كانت منتقاة بصورة عشوائية الى حد ما الا اننا نأمل انها تؤدي الغرض وهو محاولة مدى مقدرة نجيب محفوظ ككاتب عربى فى ابتداع شخصيات وانماط خالدة مثله تماما كمثلى أى كاتب عالمى ممن أشرنا اليهم أو من لم نشر اليهم فيما سبق -

لا يختلف اثنان أن من بين جميع الشخصيات أو الانماط التي ابتدعها نجيب محفوظ يبرز دائما في المقدمة ذلك النمط المعروف لدى القاصى والدانى بما فيهم الكثير ممن لم يقرأ محفوظ البتة وهذا النمط هو « السيد كمال عبد الجواد أو « سى السيد » أهم شخصية فى ثلاثية نجيب محفوظ الشهيرة وهو نمط لذلك الزوج والاب والرجل المتزمت المتصلت الشديد المحافظ فى بيته • كلمته مطاعة من الجميع والويل لمن حاول حتى مناقشته فى شىء قال أو يقوله • أما خارج المنزل وفى شلة الأتس والمرح فهو شخص مختلف تماما مرح بشوش يجرى واره رغباته ولا يحسب للوقت أو للمال حسابا • والنمط الثانى من نفس الثلاثية هو زوجته أمينة ، وهى مثال الزوجة المدبرة الصابرة والأم الرؤوم وهى تؤدي دور الزوجة على الوجه الأمثل وفى معاملتها لزوجها « سى السيد » تأخذ انطباعا مباشرا أننا أمام سيده ومسود • والثلاثية تقدم لنا أكثر من هذين النمطين

ولو تمنعنا في شخصياتها لوجدنا انها أى الشخصيات تعبر
بصدق عن تلك الفترة بما تحمله من أفراح ومنغصات وهى
الفترة التى كانت خلال الاحتلال البريطانى لمصر وظهور
الوفد المصرى ففهمى يمكن أن يعتبر نمطا ومثال لجيـل
الثورة ضد الانجليز وهو يمثل كل الشباب الطموح الراغب
فى الاستقلال لذاك فهو يستشهد فى المظاهرات المطالبة برحيل
الانجليز والحصول على الاستقلال اما كمال فهو نمط
للشباب الذى يعانى الألم والحيرة لكل الأحداث فى مرحلة
تاريخية مريـرة ويطول بذأ الحديث لوأشرنا الى باقى أفراد
العائلة والشخصيات التى تزخم بها الثلاثية فغالبية تلك
الشخصيات يمكن اعتبارها انماطا تمثل الحيرة والعذاب
وتمثل الشباب وتمثل تسلسل الاجيال كما نلاحظ ان
جميع الانماط تكمل بعضها البعض مكونة بذلك بانوراما
متناسقة من الأنماط والنماذج الانسانية والشخصيات
الحية التى يندر أن نجدها لدى غالبية الكتاب والروائيين
العالميين .

ومن الانماط المحببة الى نفسى شخصيا هو « سعيد
مهران » ذلك اللص المخدوع الذى ينساق وراء أحلامه
وآلامه وأمانيه لتقوده - كل هذه - الى حتفه ومصيره
المشئوم وهو فى رأى وكما عبرت عنه فى عنوان رسالتى
لص يبحث عن ذاته ولا يجدها لأنه لا يرغب فى العثـور
عليها بغبائه وتصلبه وهو نمط من تلك الانماط التى تدعى
العلم والثقافة بينما هو فى حقيقة الأمر يزرع تحت عبء
كابوس قظيع اسمه عزة النفس الزائفة والجهل المطبق
الذى يقود صاحبه للتهلكة .

أما « نور » وهى أيضا فى رواية « اللص والكلاب »

فهى النمط والرمز للعفة والطهارة فى ذات نفسها وان كانت مهنتها وظروف حياتها حتما عليها سلوك طريق البغاء وينطبق عليها تماما الوصف الذى نعت به ستيفن كرين بطله روايته داجى والتى كانت تسلك نفس طريق نور حين وصفتها بأنها « وردة زرعت وأينعت وترعرعت فى الوحل » (٢٧) .

وسأكتفى بهذين النمطين من قصة « اللص والكلاب » وان كان رؤوف علوان يبرز دائما أمام عينى كنمط المدعى العلم والثقافة والمعرفة وما هو فى حقيقة أمره سوى انتهازى ومنافق يلبس لكل مناسبة قناع كما يقول ت . أس . اليوت فى قصيدته « أغنية حب ج . الفرد بروفيسر وك » (٢٨) وفى رواية « الطريق » نرى « صابر الرحيمى » نمطا مشوشا يبحث عن أبيه أو عن الحقيقة المطلقة الا أنه فى أثناء عملية البحث يحيد عن الطريق وينتهى الأمر بجريمة قتل يرتكبها ويقبض عليه . وفى رواية « القاهرة الجديدة » نرى « محجوب عبد الدايم » نمطا واضحا للقواد كما نصادف أنماطا كثيرة لطلبة الجامعات والموظفين الكادحين والمثقفين الذين يحاولون أن يظهروا بمظهر الأوربيين فى فكرهم ونهجهم متنكرين لفكر موطنهم عن جهل ، انها بحق أنماط تعبر عن فساد وانحلال الطبقة الاستقرائية فى الثلاثينات .

وفى « خان الخليلى » والتى تعكس ويصدق ما يجرى فى الاحياء الشعبية وساكنيها الكادحين والمصهورين فى بوتقة العمل اليومى ومشاكل الحياة وما يعانى به صغار الموظفين وغيرهم من متاعب ومصاعب فى سبيل توفير « لقمة العيش » والحياة الشريفة ، من خلال هذا الحى تبرز لنا عدة أنماط لعل من أبرزها على الاطلاق شخصية المحامى

راشد ذو العين الواحدة الذى يظل كنمط قاصر لا يرى الحياة الا بعين واحدة وهى نمط واضح لما بينه نجيب محفوظ بالصورة والرمز فى شخصية المحامى راشد كونه يلفظ المادية والمادة وكل مايمت اليهما بصلة حفاظا على صلات الفرد بأخيه الفرد وحفاظا على القيم والاخلاق النبيلة فى المجتمع .

وتأتى قصة « زقاق المدق » الشهيرة ليقدم لنا من خلالها الكاتب نمطا آخر وهو « زيمة صانع العاهات » . وهنا يقدم لنا الكاتب أيضا صورة حية ودقيقة للحياء الشعبية وخاصة فى فترة انتهاء الحرب العالمية الثانية وكيف حاول كل من حاول أن يعمل أصابع التغيير فى المجتمع الصغير ، مجتمع زقاق المدق تبعا لتغير الزمن والعصر

وفى كلتا القصتين نجد أنماطا مختلفة لصانعى العاهات والشوانذ وأبناء البلد الذين يتسسمون بالطيبة والرجولة والفداء من أجل مجتمعهم الصغير وساكنيه وهى كلها أنماط صادقة معبرة عن حياة ومشاكل ومآسى تلك الطبقة الكادحة ومستوحاة من المجتمع المحلى الواقعى .

أما فى « السراب » فتواجهنا عقدة أوديب وما يلزمها من مشاكل وصراعات نفسية بين الشخصية ونفسها والعالم المحيط بها كل تلك متمثلة خير تمثيل فى نمط رسمه محفوظ بدقة متناهية وهو « كامل رؤية لاذ » .

أما فى رواية « الشحاذ » فنلتقى « بعمر حمزاوى » الشاعر الفاشل والذى يصوره لنا نجيب محفوظ كنمط حى

لكل فاشل يبذل كل المحاولات ولكن بدون جدوى حيث تذهب محاولاته تلك ادراج الرياح وتكون النتيجة الحتمية انه يعاني مما يدور في داخله من صراع قوامه الشك والحيرة والألم والتشتت .

ولو نظرنا نظرة عابرة الى رواية « ثرثرة فوق النيل » لوجدنا أنها مليئة بالانماط هي الأخرى كالعوامة نفسها التي ترمز الى الانحلال والفسق والضياع في محاولة لنسيان أو تناسي الواقع المرير - واقع ما بعد ٦٧ ووسط هذا الزخم الضخم من الرموز يقدم لنا نجيب محفوظ مثلاً نمط الصحفي الذي يمكنه أن يتنكر لكلمته ومبادئه في أي لحظة ، كذلك نرى أنماطاً أخرى مثل المحامي والنصاب والفتاة الجامعية ذات الثقافة الضحلة والصحفية التي تبحث عن الحقيقة كذلك نجد نمطاً آخر وهو العم صالح والذي مثله مثل الكثير من شخصيات محفوظ مثل « عامر وجدي » في « ميرamar » فهم يمثلون الجيل السابق بكل ما يملك من خبرة وتجارب وحنكة . وعموماً فإن تلك الانماط المختلفة التي يقدمها لنا الكاتب في « ثرثرة فوق النيل » تمثل في مجموعها أنماطاً لجيل ما بعد النكبة ولأناس يجدون أنفسهم في ضياع ويجدون مخرجهم الوحيد للتناسي في الكيف وكلهم آذان صماء لنداء العم أنيس وهو يحذرهم بأن يفيقوا من غفلتهم ولكن لا حياة لمن تنادى .

ولا نستطيع ونحن في هذه العجالة أن نتجاهل « ميرamar » التي تزخر بالانماط والتي من أهمها في رأي هو نمط « زهرة » تلك الفتاة العفيفة المكافحة والتي ترمز لمصر في عفتها وجمالها وصلابة عودها على الرغم مما يقابلها من اغراءات ومحاولات للإيقاع بها من قبل كل من حولها .

و « ميرامار » ماهى الا صورة أخرى من جيل أحسن
بالمضياع أيضا وبدلا من ايجاد المخرج والحل أخذ في
التراخى والاستسلام للمصير فى بنسيون « ميرامار » فى
الاسكندرية .

وفى هذه الرواية يصور لنا الكاتب «سرحان البحيرى»
الذى أحبته « زهرة » كنمط لانسان مذبذب وغير ثابت
ولا يثق فى شىء ولا حتى فى نفسه وتقوده لحظات المضياغ
هذه الى احتراف الانتهازية والاحتتيال وحب الذات بلا
حدود . اما « حسونة » - بائع الصحف فهو يمثل النمط
الصادق لانقاذ « زهرة » أو بالأحرى لانقاذ مصر عن طريق
العلم والمعرفة والمتمثلة هنا فى الصحف والكتب والمجلات .

وفى رواية « حضرة المحترم » يواجهنا نمط الموظف
البيروقراطى : عثمان بيومى « ذلك الموظف الذى يعيش
على أحلام اليقظة فى محاولات مستميتة لتخطى الواقع
وتحسين أوضاعه فى عمله ولكن دون جدوى ولا يتحقق ما
يريد الا وهو على فراش الموت . » وعثمان بيومى « هو
نمط آخر للموظف بمشاكله ومتاعبه وتضحياته وآلامه
وأحلامه والتى تنصهر كلها فى بوتقة واحدة اسمها
المستحيل .

وفى « قلب الليل » تدور الفكرة المحورية حول احياء
خان جعفر والحسين وحول « جعفر الراوى » ابن الاثرياء
الذى بدد ثروته فيما لا طائل تحته وبدأ يهيم على راحته
فى محاولة لايجاد طريقة للسلامة والخلص .

أما فى « بداية ونهاية » فنجد حسنين هو أفضل نمط

للشباب المتطلع دوما الى ما هو أعلى من مستواه الاجتماعي وبالطبع فهو يقابل بالفشل والاحباط عندما يتقدم بعد حصوله على رتبة ضابط الى احدى العوائل الثرية طالبا الزواج فلتفضله تلك العائلة لأنه دون المستوى . اذن فهو نمط الشباب الحالم المتطلع الى أعلى والبعيد كل البعد عن الواقعية أو الرضاء بواقعه وحياته بين أقرانه .

ومرة أخرى يقدم لنا نجيب محفوظ فيضا من الأنماط والشخصيات مثل « طارق رمضان » و « كرم يونس » و « حليلة الكبس » و « عباس كرم يونس » في « أفراح القبة » وهى رموز انماط تمثل بواقعية مايجزى فى المجتمع من فساد وجرائم .

ويأبى كاتبنا الكبير الا أن يقدم لنا صورة أخرى ونمطا آخر للباحث عن الحقيقة المطلقة وعن المدينة الفاضلة وان اختلف الشكل والأسلوب وذلك عبر الرحلة الطويلة التى يقوم بها ابن فطومة فى رواية « رحلة ابن فطومة » والذى يعانى معاناة شديدة ويدور فى نفسه صراعا مميتا فى بحثه عن الاستقرار أو عن تلك الحقيقة المطلقة ولكنه لا يجدها وان كان هناك فسحة من الأمل فى ايجادها يوما ما حين تتحدد معالمها فى ذهنه تماما .

ونعود ثانية الى نمط الانتهازيين ولكن هذه المرة نحدد بصدد انتهازى من نوع اخر غير نوع « سرحان البحيرى » انه نمط جديد يتمثل فى « عيسى » بطل رواية « السمان والخريف » وهو نمط للفرد الانتهازى الأفاق الذى لا يجد مخرجا . لانهيأر أحلامه بعد الثورة سسوى تحويل دفة الانتهازية الى اتجاه آخر مثل انتهاز واقتناص الفرص

كلما لاحت بوادرها في الفضاء لاحراز مكاسب ومغانم شخصية تماما مثل هارى لايم ورولو مارتنز اللذين اتخذا من الانتهازية والاحتياال والخداع حرفة مربحة في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية وتقسيم فينا فيما بين القوى الأربع آنذاك في رائعة جراهام جرين «الرجل الثالث» (٢٩) .

هذه بعض النماذج فقط للزخم الكبير من الانماط الحية التي قدمها السكاتب الكبير نجيب محفوظ علما بأننا لم نتعرض لكثير من الروايات والتي تزخر هي الأخرى بأنماط كثيرة لا تقل أهمية عما قدمناه هنا كذلك ولطبيعة الموضوع ولضيق المجال لم نتعرض الى أى من المجموعات القصصية القصيرة والتي يأخذنا فيها نجيب محفوظ في رحلة شيقة ممتعة في حافلة الأدب الرفيع ليقدم لنا من خلالها عشرات وعشرات من الأنماط الخالدة والتي في مجملها تعكس عموم طبقة الموظفين ومجتمع المقاهى والحارات والمعاناة التي ارهصت عزيمة الشباب بعد ٦٧ وما أعقبها من احباط ومرارة هذا انى جانب تلك الأنماط التي تعبر ويصدق عن أثر ونتائج الانفتاح الاقتصادي على جميع فئات المجتمع ، وغيرها من الأنماط التي يكثر عددها ودورها ويصعب حصرها .

من كل ما تقدم ، وان كان في عجلة وإيجاز ، نخرج بحقيقة واحدة وهي دور نجيب محفوظ الكاتب المبدع في اثراء الأدب العربى بعنصر هام من عناصر الأدب وهي عنصر الانسان الفرد ودراسة ومعايشة هذا الفرد والتغلغل في خواطر ووجدان الشخصية ومعايشة حديثها الباطنى وما يدور فيها من صراعات وآلام وأحلام . كان من أهم أدوار الكاتب الكبير في اثراء أدبنا وأحياء تراثنا العربى

انه قدم لنا انماطا حية عاشت قبلنا وما زالت تعيش بين
ظهرانينا وسنظل تعيش مع ابنائنا وأحفادنا وان تغير الزمن
وهو في هذا المضمار كما في غيره فيما يتعلق بعناصر
الرواية والقصة القصيرة الأخرى قد أثبت بما لا يدع مجالا
للمشك في أنه عملاق لا يقل في أهميته وعالميته عن الكتاب
العالميين ٠٠ ولا أعتقد بأننى أبالغ أو أغالى لو صرحت بأن
نجيب محفوظ يذكرنى دائما بوليم شكسبير وذلك في عبقريته
وعمق كل منهما في ابتداع الانماط البشرية المستوحاة من
البيئة ومن العصر وتقديمها صادقة بلا زيادات ولا مغالاة
ولا رتوش تجميلية لإخفاء عيوب ما أو لإظهار محاسن
لا تتوفر في نمط ما ، وكلاهما يرفضان تتبع خطا النعامة التى
دفنت رأسها في الرمال هروبا من الواقع المرير . لذلك
جاءت تلك الانماط وهى تمثل الواقع بحلوه ومره وهذا أيم
الحق ما يطلبه المجتمع وما يطلبه القارئ من الكاتب
الأمين الملتزم .

الخلاصة :

وخلاصة القول فإن كل ما قدم نجيب محفوظ من انماط ونماذج تقف شاهدا واضحا لتدل على عالمية صاحبها الذي نال وسام العالمية حتى قبل أن يناله بزم من بعيد .

اذن عرفنا الآن من هو نجيب محفوظ ولكن لماذا نشيد بمحفوظ ؟ هل لأنه أوصلنا الى العالمية ؟ أو لم نصل اليها حتى من قبل اعلان الجائزة ؟ نعم وصلنا فمن يقرأ محفوظ يخرج بنتيجة واحدة حتمية وهي أنه - أى القارئ - يشعر بأنه يقرأ لكاتب عالمى وكاتب فيلسوف لغته سلسة وجميلة وأسلوبه السهل ظاهريا يتسم بالعمق والفكر ويتطلب القارئ الواعى الشغوف بسبر أغوار الحقيقة والنفس الانسانية ومعنى الحياة حتى يتمكن من استيعاب ما قرأ

وحتى يعطى ما بين يديه من تحف فنية حقها من التقدير والاعجاب . وهذا لا يمنع بالطبع أن يقرأ بعضنا نجيب محفوظ للتسلية وتمضية الوقت فعظمة نجيب محفوظ التي تتناول كتاباته دراسة الاجيال عظمة تكمن في أنه يكتب ليقرا الجميع فتجد جميع الفئات متبغاها في كتاباته فالقارئ الباحث والمختص يسلك طريقا وأسلوبا خاصين في قراءته والقارئ العادي يسلك دربا آخر ولكن كلا الدربين أو الطريقتين يحمل في طياته عظمة كاتب عالمي وينم عن مقدرة فائقة في ارضاء جميع الأذواق .

كذلك نجد أنه لم يربط الكاتب نفسه بفكر معين أو بخط بذاته أو بمدرسة محددة بل ترك لنفسه العنان وترك لنفسه التجول في آفاق العلم والمعرفة وفي خبايا النفس الانسانية الطامحة الى العدل والحرية وكريم العيش . كما انه لم يركز على فكرة معينة بقدر ما يضع جل تفكيره واهتمامه على الفرد ، يحاوره يحنو عليه حيناً ويقسو عليه أحيانا ، يدرسه دراسة العالم المتمكن ويعايشه معايشة النفس والروح حتى يتمكن من وضع أصبعه على آلامه وأفراحه وأتراحه وطرق عيشه وبالتالي يعرض كل ذلك عرضا انسانيا جميلا في قالب أدبي وفكري وان كان لا يضع الحلول دائما - مثله في ذلك مثل الكتاب العالميين المتمكنين - الا أنك تشعر من الوهلة الأولى أن تعاطفه يتركز دائما مع الفرد البائس السكادح الفقير وان جام غضبه قد ينصب فقط على الظلم الاجتماعي أو على رعونة الافراد أو على ما آلت اليه الانسانية من يؤس وشقاء .

وان بدت شخصياته مصيرية صنيعة في واقعها وتصرفها وحياتها وشخصياتها الا أننا لو تعمقنا في فلسفة

هذه الشخصيات ومغزى كل منها ومدى الدور الانساني الذي تلعبه في الواقع لوجدنا ان كل شخصية يمكن اعتبارها دراسة عميقة متأنية للانسان عامة والطبيعة البشرية وبذلك يمكننا القول وبكل ثقة ان نجيب محفوظ قد انتقل بنا الى العالمية أو بمعنى آخر أنه بتصوير شخصياته تصويراً حياً واقعياً وبما تعانيه هذه الشخصيات من مشكلات العصر الفكرية والحياتية قد تعدى نجيب محفوظ الخاصية الى الشمولية والعالمية - عالمية الانسان المعاصر ولم يكن « سعيد مهران » - بطل « اللص والكلاب » سوى رمز مصغر لهذا الانسان المعاصر المعبذب والذي يقوده عذابه الى المزيد من القتل والفوضى والتشرد لاحتساسة وفي أعماق نفسه بظلم المجتمع له .

اذن فالفرد هو في رأيي محور اهتماماته قاطبة وان كان محفوظ يعرض نظاماً اجتماعياً أو سياسياً أو اقتصادياً الخ . . فانما يتم ذلك عن طريق الفرد فأى نظام في رأى محفوظ نظام ناجح أو فاسد بقدر معاناة الفرد في ظل هذا النظام أو بقدر رفاهيته والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها مثلاً : « سعيد مهران » بطل « اللص والكلاب » « ومحجوب عبد الدايم » في « القاهرة الجديدة » والمحامي « راشد » في « خان الخليلي » « وزليخة صانع العاهات » في « زقاق المدق » « وكامل رؤية لاذ » في « السراب » أو « عثمان بيومي » في « حضرة المحترم » وغير ذلك كثير مما يصعب حصره هنا .

ويجب الا يغيب عن أذهاننا بأن الفرد ما هي الا شريحة صغيرة وركيزة هامة من شرائح وركائز المجتمع

الكبير فالفرد يمثل المجتمع الصغير والذي بدوره يمثل
مجتمعا أكبر وهو مجتمع الانسانية قاطبة .

ومما يجدر ملاحظته ان اهتمام محفوظ بالفرد لم يتغير
بتغير أسلوب الكاتب وانتقاله من الواقعية الى الرمزية والى
المطلق كل ما هنالك ان الأسلوب الذي تناول به الفرد
دراسة وتمحيصا قد اختلف باختلاف العصر والبيئة .
فبدلا من أن يكون الصراع بين الفرد وبيئته ومن يحتك بهم
من أفراد آخرين كما كان في مرحلة الواقعية نجد أن ذلك
الصراع قد انتقل في مرحلة الرمزية وارتقى وأصبح معقدا
بحيث أصبح صراعا بين الفرد ونفسه الا أن الحقيقة تظل
جليّة واضحة ففي كلا الأسلوبين يحتدم صراع الفرد ويشتب
عندما يصطدم بواقع مرير قاس لا يرحم ويصطدم بقيم
وأفكار من شأنها أن تقضى عليه تماما وتظل المشكلة هي
المشكلة وهي مشكلة الفرد في مجتمع يبحث عن الأمل في
دنيا الاشواك والآلام .

د / عادل محمد عطا الياس

أستاذ الأدب الانجليزي المشارك

جامعة الملك عبد العزيز بجده

قسم اللغات الأوربية وآدابها

المملكة العربية السعودية

المراجع العربية !

روايات وقصص نجيب محفوظ حسب ظهورها في البحث :

« اللص والكلاب » مكتبة مصر ، الطبعة السابعة ١٩٧٦ م .

• « ميرامار » مكتبة مصر ، الطبعة الرابعة ١٩٧٧ م .

• « الشحاذ » مكتبة مصر « الطبعة الخامسة ١٩٧٦ م .

• « أفراح القبة » مكتبة مصر « الطبعة الثانية ١٩٨٣ م .

« الثلاثية » مكتبة مصر ، « بين القصرين » ، الطبعة التاسعة ١٩٧٢ م .

« قصر الشوق » الطبعة الثامنة ١٩٧١ ، « السكرية » الطبعة السادسة ١٩٦٧ م .

« الطريق » مكتبة مصر ، الطبعة الرابعة ١٩٧٤

« القاهرة الجديدة » مكتبة مصر ، الطبعة التاسعة ١٩٧٤ .

• « خان الخليلي » مكتبة مصر ، الطبعة الثامنة ١٩٧٥ .

• « زقاق الدق » مكتبة مصر « الطبعة السابعة ١٩٧٢ .

• « السراب » مكتبة مصر ، الطبعة الثامنة ١٩٧٣ .

• « ثرثرة فوق النيل » مكتبة مصر ، ١٩٧٣ .

« حضرة المحترم » مكتبة مصر ، الطبعة الرابعة ١٩٨٣ م .

- « قلب الليل » مكتبة مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٨١ .
- « بداية ونهاية » مكتبة مصر ، الطبعة العاشرة ١٩٧٦ .
- « رحلة ابن بطوطة » مكتبة مصر ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ .
- « السمان والخريف » مكتبة مصر ، الطبعة الخامسة ١٩٧٦ .

END NOTES

1. William Faulkner. *The Sound and the Fury* : (New York : Ventage Books, 1956).

2. James Joyce. *Portrait of The Artist as a Young Man* : (Harmondsworth : Penguin Books, 1975)

3. ————— . *Ulysses*, Ibid., 1959.

4. Virginia Woolf. *To The Lighthouse* : (New York Harcourt Brace Jovanovich, 1955).

5. ————— . *Mrs. Ralloway*, Ibid.

6. Ernest Hemingway . *The Old Man and The Sea* : (New York : Charles Scribner's Sons. 1952).

7. Faulkner. *As I Lay Dying* : Ibid., 1957.

8. John Steinbeck. *The Grapes of Wrath* : (New York : The Viking Press, 1967).

9. Hemingway. *A farewell To Arms* : Ibid 1929.

10. ——— . *To Whom The Bell Tolls*:
Ibid.

11. ——— . *The Sun Also Rises* : Ibid
1929.

12. Herman Melville. *Billy Budd* : (New
York : Harper and Row Publishers ,1969).

13. ——— *Moby Dick*, Ibid.

14. Gustave Flaubert. *Madame Bovary* : In
Mack Maynard, ed., *The Norton Anthology of
English Literature 4th ed.*, Vol. 2 (New York :
W.W. Norton and Company, 1979).

15. Charles Dickens., *The Pickwick Papers*:
(New York : Dell Publishing Comp. Inc., 1968).

16. ——— . *Oliver Twist* : (New
York : Lancer Books Inc., 1968).

17. ——— . *David Copperfield*
(Cairo : The Amalgamated Publishing House.
1968).

18. ——— . *Great Expectations*
(Beirut : Library Du Liban, 1970).

19. Stephen Crane. *The Red Badge of Courage* : In Three Great Novels (Greenwich : Fawcett Publications Inc., 1970).

20. William Shakespeare : *Hamlet* : In Evan's *The Riverside Shakespeare* : (Boston : Houghton Mifflin Comp., 1974).

21. Crane . *Maggie*, Ibid.

22. Emily Bront, *Wuthering Heights* : (New York : Collier Books, 1962).

23. Shakespeare. *Macbeth*, Ibid.

24. Luis the 16th.

25. John Milton. *Samson Agonistis* : In Hughes's *John Milton Complete Works and Major Prose* (Indianapolis : The Bobbs Merrill Comp. Inc., 1957).

26. Abu Firas Al-Hamadani. *Diwan Abu Firas Al-Hamadani*, (Arabic).

27. Crane. Ibid.

28. T.S. Eliot «The Love Song of J. Alfred Prufrock» : See Norton Anthology Vol. 2.

29. Graham Greene. *The Third Man*
(London : Heinmann, 1933).

BIBLIOGRAPHY

Brontë, Emily. *Wuthering Heights*. New York: Collier Books, 1962.

Crane, Stephen. *Maggie :The Girl of the Streets*, in *Three Great Novels*. Greenwich : Fawcett Publications, Inc., 1970.

————— . *The Red Badge of Courage*, in *Three Great Novels*. Greenwich : Fawcett Publications, Inc., 1970.

Dickens, Charles. *David Copperfield*. Cairo The Amalgamation Publishing House, 1968.

————— . *Great Expectations*. Beirut Library Du Liban, 1970.

————— . *Oliver Twist*. New York : Lanier Books Inc., 1968.

————— . *The Pickwick Papers*. New York : Dell Publishing Co., Inc., 1963.

Eliot, T.S. « The Love Song of J. Alfred Prufrock », in *The Norton Anthology of English Literature*, 4th ed., Vol. 2, New York : W.W. Norton and Comp. 1979.

Faulkner, William. *As I Lay Dying*. New York : Vintage Books, 1957.

————— . *The Sound and The Fury*. New York : Modern Library, 1956.

Flaubert, Gustave. *Madame Bovary*, in *The Norton Anthology of English Literature*, 4th ed., Vol. 2. New York : W.W. Norton and Comp., 1979.

Greene Graham. *The Third Man* London : Heinmann, 1983.

Hemingway, Ernest. *A Farewell to Arms*. New York : Charles Scribner's Sons, 1929.

————— . *The Old Man and The Sea*. New York : Charles Scribner's Sons, 1929.

————— . *The Sun Also Rises*. New York : York : Charles Scribner's Sons, 1929.

————— . *To Whom the Bell Tolls*. New York : Charles Scribner's Sons, 1930.

Joyce, James. *Portrait of The Artist As a Young Man*. Harmondsworth : Penguin Books Ltd., 1975.

————— . *Ulysses* Harmondsworth : Penguin Books Ltd., 1969.

Milton, John. *Samson Agnostis*, in *John Milton Complete Poems and Major Prose*. Indianapolis : The Bobbs Merrill Comp., Inc., 1957.

Melville, Herman. *Moby Dick*. New York : Harper and Row Publishers, 1969.

—————. *Billy Budd*. New York : Harper and Row Publishers, 1966.

Shakespeare, William. *Hamlet*, in *Evan's The Riverside Shakespeare*. Boston Houghton Mifflin Comp., 1974.

—————. *Macbeth*, in *Evan's The Riverside Shakespeare*. Boston : Houghton Mifflin Comp., 1974.

Steinbeck, John. *The Grapes of Wrath*. New York : The Viking Press, 1967.

Woolf, Virginia. *Mrs. Dalloway*. New York : Harcourt Brace Jovanovich, 19.

—————. *To The Lighthouse*. New York : Harcourt Brace Jovanovich, 19

الفهرس

٣	• • • • • • • • • •	مقدمة
٧	• • • • • • • • • •	الفصل الأول
١٥	• • • • • • • • • •	الفصل الثاني
٢٧	• • • • • • • • • •	الفصل الثالث
٢٧	• • • • • • • • • •	الفصل الرابع
٤٧	• • • • • • • • • •	الخاتمة
٥١	• • • • • • • • • •	المراجع العربية
٥٢	• • • • • • • • • •	المراجع الأجنبية

رقم الايداع ١٩٨٩/٤٥٩٤
الترقيم الدولي ٢ - ٢١٧٠ - ٠١ - ٩٧٧

لهيئة المصرية العامة للكتاب

●● تجربتي مع نجيب محفوظ تجربة حلوة أشدت
بها وسأشيد بها دوما لكونها من تلك التجارب التي يتعلم
منها المرء الكثير والتي تفتح أمام عينيه آفاق المعرفة
ودروب العلم والبحث والتقصي .

●● الكتاب القادم :

شعبية المسرح
أحمد نبيل الألفي

2.786
09
2999

Biblioteca Alexandrina



0171584

مطابع الهيئة المصرية

٥٠ قرشا